مجلة الدراسات التربوية والعلمية

الناشر: الجامعة العراقية

رقم المجلة المعياري الدولي: ISSN

2224-8084 (Print)

ردود المفسرين على الشبهات حول عصمة آدم عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور قـتيبـة فـوزي جسـام الــراوي
الأستاذ المساعد الدكتور زبن عجيمي إبراهيم الدليمي
التدريسيان في كلية العلوم الإسلامية / جامعة الفلوجة

الخلاصة

يتناول البحث موضوع عصمة الأنبياء عليهم السلام خير خلق الله تعالى على الإطلاق، والمساس بأحدهم هو مساس بشرع رب العالمين، وهذا البحث هو لرد الشبهات التي أثارها المبطلون وأهل الأهواء والذين يشككون بعصمة الأنبياء عليهم السلام، والدراسة تتناول عصمة سيدنا آدم عليه السلام أول الأنبياء كأنموذج يُلخص معنى العصمة، وآدم عليه السلام هو أول مخلوق على الأرض فلم يُخلق قبله أحد من البشر، والإجماع قائم على حرمة المساس بالأنبياء والمرسلين وإيذاؤهم حرام والمساس بهم كفر وشنيعة وأعلاهم أولو العزم وأعلاهم الخليل والمصطفى العدنان وأعلاهما الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

Responses to the suspicions about the infallibility of Adam peace be upon him

Assist. Prof. Dr. Qutaiba Fawzi Jassam
Assist. Prof. Dr. Zabin Aujaimi Ibrahim
College of Islamic Sciences
Al-Fallujah University

ABSTRACT

This studying deals with the subject of the infallibility of the prophets, peace be upon them the best creation of Almighty God at all, compromising one of them is the prejudice to the laws of Allah, and this research is to answer suspicions raised by the doers and the people of the passions that and who doubt the infallibility of the prophets, peace be upon them, and the study deals with the infallibility of Adam peace be upon him Abu prophets as a model summarizes the meaning of infallibility, and Adam is the first creature on earth did not create him one, and consensus is based on the sanctity of prejudice to the prophets and messengers and abuse of haram and prejudice to their heresy and heinous and the most senior Oulu determination and most senior Hebron, Mustafa Adnan and Apostle ring Muhammad peace be upon him.

المقدمة

الحمد لله خالق الكون والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابته المجاهدين الصادقين والذين اتبعوهم بالإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد.. فإن الأنبياء والمرسلين هم الخط الأول للشرائع السماوية على مدى التاريخ الإنساني الطويل وهم خير البشر على الإطلاق، والمساس بهم معناه المساس بشرع الله عز وجل.

وفي القرآن الكريم آيات تشبث بها أهل الأهواء على أنها تحط من قدر الأنبياء والمرسلين ومن ثم القول بأنهم ليسوا معصومين، وذلك يعني سحب البساط من تحت أقدام الشرائع السماوية والقضاء على تعاليمها، فأردنا إسهاماً منا أن نفتح الدراسة عن عصمة سيدنا آدم عليه السلام؛ لكونه أول الأنبياء عسى أن يحتذي بهذه الدراسة طلبة العلوم الشرعية دارسين تلك الآيات التي تمسك بها الخصوم في تأويلات كبار المدارس التفسيرية ضمن المنهج الأصولي في تفسير القرآن الكريم، حتى لا يدخل علينا المغرضون وأهل الأهواء والشبهات ولذلك جاء عنوان بحثنا: (ردود المفسرين على الشبهات حول عصمة آدم عليه السلام)

فكان منهجنا أن نظرنا في آيات القرآن الكريم حول سيدنا آدم عليه السلام وأقوال كبار علماء التفسير كالطبري شيخ المفسرين حتى وصلنا إلى المتأخرين كالطاهر بن عاشور نلتقط درة من هذا وشذرة من ذاك؛ لننظم منها عبارة لهذا البحث الذي تمخض في دراستنا هذه عن مبحثين وخاتمة فضلاً عن هذه المقدمة:

فجعلنا المبحث الأول عن أول الأنبياء u، وفيه ثلاثة مطالب :

أما المطلب الأول: فتناولنا فيه التعريف بأول الأنبياء آدم عليه السلام.

والمطلب الثاني: خصصناه لدراسة أقوال المفسرين في جنة آدم عليه السلام.

وأخذنا في المطلب الثالث: أقوال المفسرين في حواء، والشيطان، والحية .

والمبحث الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام وقسمناه على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تكلمنا فيه عن مفهوم العصمة .

والمطلب الثاني: درسنا فيه شبهات حول عصمة الأنبياء عليهم السلام .

وأما المطلب الثالث: فتوسعنا فيه دراسةً للشبهات حول عصمة سيدنا آدم عليه السلام.

أما خاتمة البحث فقد أجملنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، ولا يخلو البحث من صعوبات غير أن الرغبة وحبنا للقرآن الكريم كانا يخففان من تلك الصعوبات، وختاماً فهذا جهدنا بذلنا فيه ما كان بوسعنا أن نخدم به المسلمين مدافعين عن الشرائع السماوية من خلال رفع الشبهات عن الأنبياء والمرسلين ولا سيما أول الأنبياء، فإن أصبنا فهو من الله وحده وإن كانت الأخرى فمنا والله غالب

على أمره ونطلب من الله الغفران وأن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم يوم الدين .. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
أول الأنبياء آدم عليه السلام

المطلب الأول: التعريف بأول الأنبياء آدم عليه السلام:

سمي آدم عليه السلام بهذا الاسم؛ لخلقه من أديم الأرض وهو وجه الأرض الظاهر، وهو ما قال به ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أو لأنهُ مأخوذ من الأدمة وهي اللون[1]، أو اسم الأرض الرابعة[2].

ويفهم من القرآن الكريم أن الله عز وجل أسماه بآدم قبل الخروج من الجنة وليس اسمه من الأدمة بمعنى اللون المخصوص؛ لأن التسمية بالأدمة خاص بأقوال العرب فلعلهم يصفون اسم هذا اللون من وصفهم لآدم عليه السلام بأبي البشر[3]، ويُكنى بأبي محمد أو بأبي البشر[4] .

وأما كونه عليه السلام أبا البشر فهذا باتفاق كل الأمم إلا ما ندر ممن يوصفون بالنزعات الإلحادية في أوربا أصحاب نظرية التسلسل لأنواع الحيوانات[5] .

وأبو البشر عليه السلام خلقه الله تعالى بالذات بقدرته بلا أب ولا أم وعظّمه وشرّفه على الملائكة وأمرهم بالسجود له سجود تشريف وعلّمه الأسماء كلها[6]، والله تعالى يقول ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ آل عمران: ٥٩ .

وفي هذه الآية تفنيد لعقيدة النصارى في كون عيسى إلهاً، ودحض شبهاتهم الموجهة إلى الإسلام، وهذا الدليل القوي بالإلزام؛ لقولهم إن عيسى إله؛ لأنه مخلوق بكلمة الله من غير أب وعندما قالوا: هو ابن الله أراهم سبحانه وتعالى أن آدم عليه السلام هو أولى أن يكون له ذلك، فإن لم يكن أبو البشر عليه السلام إلهاً مع أنه مخلوق من دون أبوين فعيسى عليه السلام هو الأولى في عدم الألوهية من آدم عليه السلام[7]، وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لأنه "أبو البشر" ومخلوق من التراب من غير أبوين بنص الآية[8] .

ولا يوجد تحديد أن السماء هو المكان الذي خُلِقَ فيه آدم عليه السلام؛ لأمرية الباري الملائكة بالسجود لآدم،

---

(1) ينظر كتاب العين، للفراهيدي البصري (ت 170هـ): 8/ 88، والنكت والعيون، للماوردي (ت 450هـ): 1 / 98 – 99، وتهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ): 129، ولسان العرب، لابن منظور (ت 711هـ): 12/ 11 – 12، مادة (أدم) .

(2) معجم مقاييس اللغة، للقزويني الرازي (ت 395هـ): 1 / 72 .

(3) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 3 / 83 .

(4) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت 546هـ): 1 / 131 .

(5) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 3 / 82 .

(6) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم محمد المدرس (ت 2004هـ): 2/ 175 .

(7) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 3/112 .

(8) ينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (ت1250هـ): 1/ 554، 572 .

فالاحتمال الأول أن خلقه في العالم السماوي بجوار الملائكة، والاحتمال الثاني أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام أطلع الملائكة على هذا المخلوق العجيب؛ لأن الملائكة ينتقلون من مكان إلى آخر[1].

فقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ الأعراف: ١١، ليس جزماً في خلق آدم عليه السلام في السماوات ولا في الجنة[2]، وإن كان هو المفهوم من ظاهر الآية[3].

فإن قيل: لِمَ لَمْ نجد لحواء مكاناً في قصة آدم عليه السلام ولا سيما في قصة العصيان[4]؟ .

قلنا كما قال ابن عطية: «لأن المرأة حرمة مستورة فأراد الله الستر لها»[5].

ولما عَلَّمَ الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام الأسماء كلها "أسماء كل شيء" والألف واللام للاستغراق في "الأسماء" فضلاً عن إرداف كلمة كلها لئلا يتوهم منه العهد[6] فصار نبيّاً بعد الاجتباء للرسالة والتوحيد والطاعات والخيرات[7] .

ومع كل ذلك لم يكن من أولي العزم عليه السلام ولا يونس أيضاً لقوله تعالى في يونس﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾القلم: ٤٨[8] .

وجملة القول لم نصل إلى الزمن الذي وجد فيه أبونا آدم عليه السلام وما ورد من أخبار في ذلك فليس لها طريق صحيح قاطع، وأنه عليه السلام هو أول الناس ولم يكن قبله ناس، وأول الأنبياء قطعاً إذ لا مجال للشك في ذلك[9].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في جنة آدم عليه السلام:

أولاً: القائلون إنها جنة في الأرض :

ذكر الماتريدي أن الجنة هي اسم للبقعة التي حُفت بالأشجار والفردوس وأنواع النبات، ولا يُدرى ما تلك الجنة التي أمر اللهُ آدمَ عليه السلام وحواء بالسكون والمقام فيها أهي التي ﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الرعد: من الآية 35 ؟ أم جنة من جنان الدنيا، إذ ليس في الآية بيان ذلك والكلام

(1) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 8/ 30 .

(2) سيأتي تفصيل الجنة في المطلب الثاني من هذا المبحث .

(3) ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 8 / 30 .

(4) ستأتي في عصمة سيدنا آدم عليه السلام في المبحث الثاني .

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت 546هـ): 1/ 131 .

(6) ينظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت671هـ): 1 / 195، والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 1/ 395، والترجيح بالسنة عند المفسرين، لناصر بن محمد الصائغ: 1/ 141 .

(7) ينظر تأويلات أهل السنة، للماتريدي (ت 333هـ): 3 / 311 .

(8) ينظر تفسير القرآن العظيم، للسخاوي (ت643هـ): 1 / 546 .

(9) ينظر اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين الدمشقي النعماني (ت 775هـ): 9 / 29، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ): 12/ 283 .

ذاته نقله السيد رشيد رضا[1] .

واستدل المعتزلة على أنها جنة أرضية إذ قالوا من السمع قوله تعالى:﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾الطور: من الآية ٢٣، وقوله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ النبأ: ٣٥، وقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ الواقعة: ٢٥– ٢٦، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الحجر: من الآية ٤٨، ومن العقل: أنها دار القدس، قدست تطهيراً لها عن الذنوب والخطايا، فكذب فيها إبليس ولغا، فكان خروج آدم وزوجه بسبب المعصية، فكيف يطلب آدم شجرة الخلد وهو فيها وملكها الذي لا يبلى[2] .

إذن هي جنة أرضية من جنان الدنيا، وإن قيل: ما القول في قوله تعالى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ البقرة: من الآية ٣٨، قلنا: لا يقتضي كونها في السماء؛ لأنه مثل قوله ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ البقرة: من الآية ٦١[3] .

وتأثر الشعراوي بمن قال إنها جنة من جنان الأرض وزعم أنها جنة سَيُمارس فيها تجربة تطبيق المنهج[4] .

ثانياً: القائلون إنها جنة الخلد :

لم يوضح الإمام الطبري أن الجنة التي أسكنها الله آدم عليه السلام في السماء، بل جاء الحديث عنها في معرض كلامه عن إبليس لما أخرجه الله من الجنة أسكنها آدم عليه السلام قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض[5] .

فإن قيل: كيف أخرجهما الله من الجنة وهي دار الخلود؟ .

قلنا: هي دار الخلود لمن دخلها للثواب والجزاء، في حين آدم وحواء دخلاها كرامةً دون الثواب[6] .

وأكد السمعاني أن آدم عليه السلام وحواء تم نزولهما في مرحلتين: الأولى من الجنة إلى السماء الدنيا، ومن ثمَّ نزلا إلى الأرض[7]، ولم نجد لهذا القول مؤيداً عند غيره .

وتعقب ابن عطية مقال القائلين إنها جنة أرضية لا جنة الخلد، فذكر أن من دخلها بالثواب فهو لا يخرج منها، ومن دخل جنة الخلد ابتداءً فليس ببعيد ولم يرد الخبر بأن من دخلها لا يخرج منها[8] .

وذكر عبد القادر الجيلاني أنها جنة الخلد ولطهارتها ونظافتها ولوجود الغائط أمر الله بإخراجهما من الجنة حين أكلا من الشجرة[9] .

وتنبه القرطبي كما تنبه ابن عطية لمقالة القائلين أنها جنة أرضية، فقال: «بل هي جنة سماوية بدليل السكنى

(1) ينظر تأويلات أهل السنة، للماتريدي (ت 333هـ): 1 / 37، وتفسير المنار، للسيد رشيد رضا (ت 1935م): 1/ 228.

(2) ينظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت 671هـ): 1 / 207 .

(3) ينظر تفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت 322هـ): 35 .

(4) ينظر قصص الأنبياء والمرسلين، للشعراوي (ت 1998م): 46 .

(5) ينظر جامع البيان، للطبري (ت310هـ): 1/ 303 .

(6) ينظر تفسير القرآن، للسمعاني (ت 489هـ): 1/ 68 .

(7) ينظر المصدر نفسه: 1/ 70 .

(8) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت 546 هـ): 1 / 126 .

(9) ينظر تفسير الجيلاني، لمحي الدين عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ): 3 / 166 .

فدخولها دخول سكنى لا دخول إقامة، ثم إن اللام للعهد في الجنة ولا معهود غيرها»[1].

وقال النسفي رداً على المعتزلة القائلين إنها بستان في الأرض؛ لأن جنة الخلد لا تكليف فيها ولا خروج، قال: «بل دخلها صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج ثم خرج منها، أما التكليف: فأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد»[2].

وعدّ الشيخ عبد الكريم محمد المدرس كلام القائلين إنها جنة الخلد كلام أهل الحق وهو مجمع عليه عندهم[3].

والراجح من الأقوال عندنا هي الجنة المعدودة داراً للمحسنين على إحسانهم وليست بجنة من جنان الأرض وهو المؤيد بأخبار القرآن الكريم والأحاديث النبوية وهي ظواهر كثيرة لكنها تفيد غلبة الظن[4].

ثالثاً: التعريف بشجرة آدم وحواء المنهي عن الأكل منها ؟.

الشجرة: كل ما قام على ساق، ومنه قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ الرحمن: ٦، والنجم: كل ما نجم من الأرض من نبت، إذا طلع وظهر[5].

وقال السمعاني: «الشجرة كل ماله ساق دون النجم إذ لا ساق له والمقصود بها الحنطة أو العنب، أو شجرة العليم أو التين»[6]، أو شجرة من أكل منها أحدث[7].

وعندنا والله أعلم أنها شجرة الجنس، والذي يؤيد قولنا ما ذكره البيضاوي في تفسيره بأنه لا دليل في التعيين لكل واحدٍ من المفسرين الثقات، ولا تعيين من غير قاطع ولا قاطع على تعيينها[8].

رابعاً: دراسة حرف «الواو والفاء» في آية البقرة والأعراف: قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥، وقوله تعالى ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأعراف: ١٩.

قال الكرماني: «(اسْكُنْ) في الآيتين ليس بأمرٍ من السكون الذي هو ضد الحركة، والسكون في البقرة معناه الإقامة "أي" صار المعنى "اجمعا بين الإقامة والأكل"،

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت 671هـ): 1 / 205 و 208، وينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت 691هـ): 1 / 58 .

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (ت710هـ): 1/ 81 .

(3) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم محمد المدرس (2004م): 1/ 142 .

(4) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 1 / 415 – 417 .

(5) لسان العرب، لابن منظور (ت 711هـ): 12 / 568، مادة (نجم)، وينظر جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري (ت 310 هـ): 1/ 303 – 304 .

(6) تفسير القرآن، للسمعاني (ت489هـ): 1/ 69 .

(7) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت 691هـ): 1 / 59 .

(8) ينظر المصدر نفسه: 1 / 59 .

ولو جاء بالفاء لصار المعنى: تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب"[1] .

أما السكون في الأعراف فمعناه اتخاذ الموضع سكناً والأكل يقع عقيبه فالفاء أولى من الواو[2] .

وذكر الغرناطي الاختلاف في الآيتين، فما ورد في سورة البقرة أراد به مجرد الإخبار بتوالي النعم لا تعدادها بل أراد التعريف حصراً من غير ترتيب زماني أو تحديد غاية، ولذلك ذكر إيجاده لآدم عليه السلام وأمره للملائكة بالسجود له وتكبر إبليس فناسبهُ وجود الواو، وأما في الأعراف فأراد ﷻ تعداد نعمه على آدم عليه السلام وذريته بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الأعراف: من الآية ١٠، إلى أن وصل مفرداً لإبليس بالطرد والخروج: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ الأعراف: من الآية ١٨، حتى وصل الأمر بالتحذير من الشيطان: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ الأعراف: من الآية ٢٧، فكان وجود الفاء أنسب من وجود الواو؛ لأن باب الواو الجمع ولا يراد به الترتيب دون الفاء التي بابها الترتيب على التعقيب[3].

وذكر الصاوي أن الآية في البقرة فيها آدم داخل الجنة، دون آية الأعراف فهو خارج عنها فحسن الترتيب في الأعراف بين الأكل والسكنى إذ أمره وهو خارج دون البقرة[4] .

وتعقب الأقوال الدكتور فضل حسن عباس بأن عطف الواو في البقرة جاء متسقاً مع زيادة التكريم لآدم؛ لعموم عطف الواو ووجود «رغداً» دون الأعراف إذ لا وجود «رغداً»، وعاب على القول إن السكنى في البقرة تغاير السكنى في الأعراف، وعدها من التكلف[5] .

وعندنا أن ما ذكرناه عن العلماء الأفاضل لا يخرج عن دائرة الخواطر والفتوحات دون دليل نقلي من القرآن الكريم أو السنة المطهرة؛ لأن آيات القرآن الكريم كالألماس كلما قلبتها جاءتك بلونٍ جديد وهو كتاب الله الخالد الذي لا تنقضي عجائبه .

المطلب الثالث: حواء، الشيطان، الحية :

المحور الأول: حواء :

لم يرد اسم حواء في القرآن الكريم، وإن ورد في الحديث فقد روي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قَالَ: (("النَّاسُ لِآدَمَ وحَوَّاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ لَمْ يَمْلَؤوهُ"))[6] .

وسُميت حواء؛ لأنها خلقت من حَيٍّ وهو آدم

(1) البرهان في متشابه القرآن، للكرماني (ت 500هـ): 119 .
(2) ينظر المصدر نفسه: 120 .
(3) ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، للغرناطي (ت 708هـ): 1/ 187 – 188 .
(4) ينظر حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين (ت 1241هـ): 1/ 63 .
(5) ينظر قصص القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس: 130 – 131 .
(6) مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني (ت 307هـ): 1/ 168، حديث (207)، والأمثال في الحديث النبوي، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت 369هـ): 197، وينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت1973م): 1/ 414 .

عليه السلام وهو قول عبد الله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، أو لأنها أم لكل حَيٍّ، وسُميت امرأة؛ لأنها خلقت من المرءِ، واختلف المفسرون في وقت خلقها قبل دخول آدم عليه السلام الجنة أم بعد دخوله على قولين[1].

لكن الذي يهمنا في بحثنا أن «حواء» لم يرد ذكرها في القرآن الكريم لا اسماً ولا خلقاً اللهم إلا إشارة كقوله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ البقرة: من الآية ٣٥، وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ النساء: من الآية ١ .

ومالَ أكثر المفسرين ولا سيما القدامى إلى القول بأن حواء خلقت بموجب فهمهم للآية من آدم عليه السلام دون منازع آخذين بنظر الاعتبار حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ"[2] .

وما ذهب إليه بعض المفسرين كالمراغي في تأويل ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء: من الآية ١، أي: من جنسها لكي لا يحصل بينهما تنافر ضعيف[3] .

وتعقب الطاهر بن عاشور أقوال القائلين من جنسها، وذكر أن «من» تبعيضية ومعناها أن خلق حواء من جزء من آدم عليه السلام من ضلعه أو ما بقي من الطينة وهو ما يقتضيه النص القرآني والحديث النبوي الصحيح[4].

والحق أن التفاسير منها على الغالب مشحون بالكلام على حواء أنها هي التي تعاونت مع الشيطان على آدم عليه السلام الأمر الذي أخرجهم من الجنة لما أكلا من الشجرة حتى نُسب إلى سعيد بن جبير رضي الله عنه إذ ذكر بينما آدم عليه السلام يسوق الثور للحراثة بعد خروجه من الجنة فكلما تعب وعرق التفت إلى حواء قائلاً: هذا من قبلك، فبقي ذلك في ولده إلى يوم القيامة يقولون عند الحراثة "حَوْحَوْ"[5].

وهذا لا يخفى على عاقل أنه من الإسرائيليات لما فيه من اعتداء سافر على حواء التي أجلها القرآن الكريم من أول القصة الحاكية عن سيدنا آدم عليه السلام وزوجه حواء؛ وذلك مما فيها من المكانة التي لابد أن تحفظ عن أن يتوجه إليها نهي[6]، بل أن القرآن الكريم لم يُحمل

(1) ينظر تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت 150هـ): 1 / 355، والنكت والعيون، للماوردي (ت450هـ): 1 /103ـ 104، وتفسير العز بن عبد السلام السلمي (ت660هـ) :1/31 .

(2) هذا جزء من حديث في البخاري: 4/ 133 ـ كتاب أحاديث الأنبياء (باب خلق آدم وذريته)، برقم (3331)، وعند مسلم: 2/1091- كتاب الرضاع (باب الوصية بالنساء) برقم (1468)، والمستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ): 4/ 192، برقم (7334)، وعند الترمذي: 3 / 493 ـ في الطلاق (بَاب مَا جَاءَ فِي مُدَارَاةِ النِّسَاءِ)، برقم (1188)، وقال الترمذي حسن صحيح وإسناده جيد وله شواهد .

(3) ينظر تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (ت1952م): 4/ 177 .

(4) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 4 / 9 .

(5) ينظر تفسير القرآن، لأبي مظفر السمعاني (ت 489هـ): 2/ 359 .

(6) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت

المرأة مسؤولية الأكل من الشجرة وذلك للأدلة الآتية:

1. جاء في سورة طه ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾طه: ١١٥ .

2. وجه القرآن الكريم تحذيره لآدم عليه السلام مباشرة: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ طه: من الآية ١١٧ .

3. حمله المسؤولية وعليه تبعة الشقاء دون منازع ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾طه: من الآية ١١٧، ولم يقل فتشقيا .

4. خصه بالوسوسة الشيطانية إذ قال ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠ .

وكذلك الحديث النبوي خص آدم عليه السلام دون حواء: (("أنتم بنو آدم وآدم من تراب"))[1].

فإن قيل: ما الرأي والرسول الكريم ﷺ يقول: (("لولا حواء لم تخن أنثى زوجها"))[2]؟ .

قلنا: ذكر ابن حجر أن في الحديث تسلية للرجال مما يحصل لهم من النساء بما حصل من أمهن الأولى حواء، وذلك من صفاتهن فلا تفرطون في لومهن من غير قصد لما يحصل في النوادر، ولا يسترسلن بل يحفظن أنفسهن ويجاهدن هوى النفس ويستعن بالله[3] .

وزاد العسقلاني: ليس معنى الخيانة في هذا الموضع فعل الفواحش، وقريب من هذا حديث «جحد آدم فجحدت ذريته»[4]، وكل ما في الأمر أن حواء مالت بطبعها وحسنت الأكل لزوجها[5] .

وتنبه الأندلسي بأن عدم السكون إلى الخلق هو المطلوب من الخلق وبذلك سيكون آدم عليه السلام بكل خير وعافية؛ لأن آدم عندما جاءته زوجته ظهرت الفتنة وافتتحت عليه أبواب المحن، وحين سكن إلى حواء فعل بمشورتها عليه فحصل ما حصل[6].

ولعل ذلك المذكور عند الأندلسي في مقاله عن آدم وحواء عليهما السلام أثر عن أحد العارفين بأن الزوجة عدوة زوجها؛ لأنها تجبره على المعصية، وزوجها خصمها بسبب النفقة، ووساوس الشيطان تزيد العداوة بينهما بدعوتهم للمفاسد، وهي لا تُغفر إلا بالرجوع لأمر السماء[7].

885هـ): 5 / 51 .

(1) سنن أبي داود، لأبي داود السِّجِسْتاني (ت 275هـ): 4 / 331 (باب في التفاخر بالأحساب) برقم (5116)، وذكر المحقق في الهامش حكم الألباني: بأنه حسن .

(2) صحيح البخاري، للبخاري الجعفي (ت256هـ): 4/ 132، (بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ)، برقم (3330) و (3399)، وصحيح مسلم، للنيسابوري (ت 261هـ): 2/ 1092، رقم (62)و(63)، (بَابُ لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، للعسقلاني (ت 852هـ): 6/ 522، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (1399) .

(3) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، للعسقلاني (ت 852 هـ): 6 / 444 .

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ): 4 / 127 – 128، برقم (2270) .

(5) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، للعسقلاني (ت 852 هـ): 6 / 444 .

(6) ينظر البحر المحيط، للأندلسي (ت 745 هـ): 1 / 310 .

(7) تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، للقاسمي (ت

ولذلك أفلح أبو السعود من قبل إذ قال في تأويله لقوله ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ البقرة: من الآية ٣٨، أي وضع الظاهر مكان المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب أتباعه[1] .

وبناءً على ما ورد سابقاً فإن أُمّنا حواء لم نرَ قراناً ولا حديثاً ذكرها بسوء ولم يوجه لها عتاب، بل حتى الشقاء جعله على آدم عليه السلام دون حواء إذ قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ طه: ١١٧، ولا يمكن لنا أن نقول وردت كلمة «فتشقى» محافظة على الفواصل التي قال بها بعض المفسرين[2]؛ إذ القرآن الكريم ليس شعراً ولا نثراً ولا سجعاً ولا كهانة فهو قرآن كريم، ولا يلوي منزله عنق النصوص كما يفعل البشر .

المحور الثاني: الشيطان :

أولاً: من خلال دراستنا لهذا الموضوع لم نجد أحداً من المفسرين لكتاب الله فرق بين «إبليس والشيطان» غير العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد البدران إذ قال: «لأن الشيطان يشير إلى معنى الشيطنة، وهي تدل على البعد والسرعة، التي تقبل التلافي والرجوع، فأشار إلى أنه لابد من رجوع آدم، وأما لفظ «إبليس» فإنه يشير إلى معنى الإبلاس ولما كان هذا المعنى يلوح بقطع الرجاء، لم يكن ذكره من البلاغة على ما يرام»[3]، قاصداً أن الشيطان في كل القرآن الكريم حين يأتي ذكره في الآيات التي تخص آدم عليه السلام يكون ذكره باسم إبليس، ويأتي ذكره باسم الشيطان حين يكون متعلقاً بآدم عليه السلام وذريته وهو الذي ظهر عندنا .

ثانياً: اختلف العلماء في إبليس في كونه من الجن أم من الملائكة؟ فبعض المتكلمين ولاسيما المعتزلة ومنهم صاحب الكشاف، ذهبوا إلى أنهُ لم يكن من الملائكة، وذهب كثير من الفقهاء إلى أنهُ كان من الملائكة[4].

وأدلة الذين قالوا أنهُ من الجن أقوى من مخالفيهم إذ قال الله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾الكهف: من الآية ٥٠، ثم الملائكة قسيمو الإنس في الخلق وهم مخلوقات نورانية دون الشيطان فهو مخلوق من نار السموم وله ذرية لقوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الكهف: من الآية ٥٠، في حين الملائكة لا تتناسل[5]، وأقواها دليلاً قول الملائكة إذ قالوا مجيبين الله على سؤاله لهم إذ يقول ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم

1322هـ): 11 / 121 .

(1) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود (ت 951هـ): 6/ 51 .

(2) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت 691هـ) :2 / 656، وإرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، للأجهوري (ت 1190هـ): 2/ 480 .

(3) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المُستخرجة من كلام العزيز الجبار، لعبد القادر بن أحمد بدران (ت1346هـ): 178.

(4) ينظر جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المُستخرجة من كلام العزيز الجبار، لعبد القادر بن أحمد بدران (ت1346هـ): 170 .

(5) ينظر قصص الأنبياء، لابن كثير (ت 774هـ): 25 .

﴿ مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سبأ: ٤٠ – ٤١، ولما وجدنا تصريحاً قرآنياً في أن إبليس من الجن ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ الكهف: من الآية ٥٠، خلص القول بقوة قول القائلين إنه من الجن[1].

ثالثاً: إبليس والشيطان يطلقان على شيء واحد فقال العلماء فيها أقوالاً، فذكر البقاعي أن إبليس سمي شيطاناً لأنه مأخوذ من «شطن» بمعنى البعد ومنه الجبل الطويل، ومنه الشيط ومعناه سرعة الاحتراق والسمن، وهو مشتق من المعنيين[2].

أما إبليس: فكان اسمه عزازيل بالسريانية، وبالعربية «الحارث» فلما عصى صار إبليساً؛ لأنه أُبلسَ من رحمة الله تعالى: أي يئس[3].

وذكر النيسابوري أن تسمية «إبليس» أعجمية لعدم انصرافها من ناحية العجمة والتعريف، وورد قول بأنها عربية من إبلاس، وهي لا تنصرف؛ لعدم وجودها في العربية فشبهت بالكلمات الأعجمية[4]، وعندنا أنه مشتق لورود ذكره في الاشتقاق إذ يقول تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ الأنعام: من الآية ٤٤: أي آيسون[5].

رابعاً: لماذا حصل الكفر لإبليس بعد امتناعه من السجود واعتراضه؟ .

الجواب: لأن دليل ألوهية الله تعالى في هذا الكون تحصل مشاهدة وهي أقوى دليل مع العقل؛ ولأن إبليس عرف بالحس المشاهد دلائل تفرده بالألوهية ومع مطلق التصرف والعلم والحكمة وصفات الكمال، كان اعتراضه دون الملائكة ما هو إلا إنكاراً لتلك الصفات ومخالفة صريحة لدلائل الإيمان فكفر لذلك[6] .

خامساً: ما سبب العداوة إذ لم يسجد إبليس لآدم عليه السلام؟.

قال الرازي: "إما حسداً لوجود آثار النعمة على سيدنا آدم عليه السلام ولذلك دوماً على الغالب أن الشيخ الجاهل عدوٌّ للشاب العالم، ولا يخفى أن آدم عليه السلام شابٌ دون إبليس الشيخ الفاني الجاهل، وإما لأصل خلقة آدم من ماء وتراب وذاك من مارج من نار"[7] .

سادساً: لما طُرد إبليس من ساحة الرب وآدم وحواء عليهما السلام في الجنة كيف توصل إبليس إليهما؟ .

قال الطبري: "في كيفية الخطاب والوصول إليهما يعود إلى الله تعالى والوسوسة كذلك"[8] .

ويرى ابن عطية أنه لا خلاف عند العلماء في كون إبليس هو من تولى الإغواء لآدم عليه السلام من غير أن يفصل

(1) ينظر تفسير القرآن العظيم، للسخاوي (ت 642هـ): 1/ 64 .

(2) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت885هـ): 1/ 105 .

(3) ينظر مختصر تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للبغوي (ت 516هـ): 25 .

(4) إيجاز عن معاني القرآن، للنيسابوري (ت 553هـ): 1/ 91 .

(5) ينظر النكت والعيون، للماوردي (ت 450هـ): 1/ 102 .

(6) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت1973م): 1/ 424 .

(7) مفاتيح الغيب، للرازي (ت 606هـ): 22 / 107ـ 108 .

(8) جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري (ت 310هـ): 1/ 314 .

في ذلك شيء[1] .

وتعقب البيضاوي أقوال من سبق، وقال: «لم يُمنع الشيطان من الدخول للوسوسة ابتلاءً لآدم وحواء عليهما السلام، أو أنه فاداهما عند الباب»[2] .

وقال الثعالبي: «هو رأي الجمهور أغواهما بالمشافهة»[3] .

وأكد أبو السعود أن الشيطان لم يمنع من الدخول لابتلاء آدم وحواء عليهما السلام[4] .

فان قيل: ما القول ورسول الله ﷺ يقول: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"[5] فما هي هذه الوسوسة وكيف نقرؤها؟ .

فيرى الشهاب أننا لا نعرف من هذه الوسوسة إلا خواطر وهواجس وهذه الخواطر تفضي لما تفضي، والكثير لا يجزم بدخول الشيطان في قلب الإنسان بل لا يدركونه، ولذلك يحملون الحديث على الكناية بسبب زيادة سلطانه والانقياد له، وربما يكون هو القول المختار[6] .

أما الألوسي فيرى أنه ليس بإمكاننا الكشف عن طريقة ذلك ولا جزم بعيداً عن الدليل[7]، وهو الذي نراه صائباً وعين الإنصاف؛ لأن الشيطان غيب ولا نصل بعقلنا القاصر إلى معرفة ذلك .

المحور الثالث: الحية :

لقد ذكر حديث دخول إبليس في فم الحية حتى يدخل على آدم وحواء عليهما السلام الإمام الطبري[8]، وابن أبي زمنين[9]، والواحدي[10]، وهي في يومها ذاك كانت من أجمل الحيوانات ولها قوائم أربع كأنها البعير، ولما أدخلت الشيطان وعصت أمر الله ﷻ مسخها وردّ قوائمها في جوفها، وأمشاها على بطنها، وزادوا على ذلك: وبدت العداوة بين الإنسان والثعبان، وحواء أصابها من دماء الحيض جزاءً على ما أدمت به الشجرة حين أكلت منها[11]، ذكرها الشوكاني في تفسيره، ونفاها محققه الدكتور عبد الرحمن عميرة اعتماداً على قول الدكتور محمد أبو شهبة اذ لا صحة لهذه القصص فإنها من الإسرائيليات[12].

(1) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت 546هـ): 1 / 128 .

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت691هـ): 1 / 59 .

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (ت875هـ): 1 / 51 .

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن المجيد، لأبي السعود (951هـ): 1 / 117 .

(5) صحيح البخاري، للجعفي (ت256هـ): 6/ 2623، (باب الشهادة تكون عند الحاكم...)، برقم (6750) .

(6) ينظر روح المعاني، للألوسي (1270هـ): 1/ 137 .

(7) ينظر المصدر نفسه: 1/ 137 .

(8) ينظر جامع البيان، للطبري (ت 310هـ): 1/ 310 .

(9) ينظر تفسير ابن أبي زمنين وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام، لابن زمنين (ت399هـ): 1/ 23.

(10) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ت 468هـ): 1/ 100 .

(11) ينظر المصدر نفسه: 1/ 128 .

(12) ينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (ت 1250هـ): 1/ 168، والخبر في كتاب الإسرائيليات في كتب التفسير د. محمد أبو شهبة: 252، ولم نجده بعد البحث عنه .

وأكد ابن الجوزي في معرض حديثه عن الحية وزعم أنه قول السدي ومن قبله الإمام الجليل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، إلا أن محققه نفاها جاعلاً إياها من دسائس الإسرائيليات[2].

والرازي رد حديث الحية جملةً وتفصيلاً مثبتاً زيفه واختلاقه من الأصول الإسرائيلية[3].

وتعقّب جميع أقوال المفسرين القائلين بحديث الحية العلامة ابن بدران مكذباً تلك النقول وواصفاً إياها بالإسرائيليات، فقال: «ولأكثر المفسرين في هذا المقام مقالات اقتبسوها عن أهل الكتاب وأكثرها من كلام وهب بن منبه اليماني، والسدي وأضرابهما، والغالب أنها تأتي مرفوعة إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن روايتها لا تصح أصلاً ولا تنطبق على معاني كتاب الله تعالى، فيجب طرحها وعدم اعتبارها، ولنذكر أنموذجاً ثم ذكر قصة دخول إبليس في فم الحية"[4].

فذكر إن هذا القول فاسد من وجوه منها: أن إبليس اللعين لو استطاع دخول فم الحية، فلماذا لم يتمكن من جعل نفسه حية وبعدها يكون في الجنة، ولِمَ عوقبت الحية وهي ليست بعاقلة ولا مكلفة؟[5].

(1) ينظر زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت 597هـ): 1 / 56 .
(2) ينظر المصدر نفسه: 1/ 56 .
(3) ينظر مفاتيح الغيب، للرازي (ت 606هـ): 3 / 16 .
(4) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار، لابن بدران (ت 1346هـ): 179 .
(5) ينظر المصدر نفسه: 179 – 180، وهو اعتماده عن مفاتيح الغيب: 6/ 3 .

والظاهر عندنا لا صحة لأقوال المفسرين في هذه النقطة التي صور فيها أهل الكتاب قصة دخول الشيطان في فم الثعبان غرضه الدخول على الإنسان والله المستعان .

المبحث الثاني
عصمة الأنبياء عليهم السلام

المطلب الأول: العصمة :

العصمة في اللغة: المنع والحفظ، وعصمه الله تعالى: بأن يحفظه مما يُوبِقه[6] .

اصطلاحاً: هي اللطف من الله تعالى يجعل صاحبه مندفعاً في الخير ممتنعاً عن الشر مع البقاء في اختيار تحقيق الابتلاء، أو أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنباً[7] .

ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى بأنه لا معصوم إلا رسول الله ﷺ ومن سبقه من الأنبياء وما عداهم من الأمة فيجوز منهم الخطأ[8] .

وأما الملائكة فهم معصومون لقوله تعالى ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: من الآية ٦ .

فإن قيل: أليس هم القائلون : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ البقرة: من الآية ٣٠ .

قلنا: ليس اعتراضاً على الله تعالى ولا غيبة بل هو

(6) لسان العرب، لابن منظور (ت711هـ): 12/ 403، مادة (عصم) .
(7) ينظر أصول الدين الإسلامي، د. قحطان الدوري ود. رشدي عليان: 217 .
(8) ينظر اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل أبو الفضل التميمي (ت 410هـ): 73 .

استفهام، وما وردنا عن قصة هاروت وماروت فهو من نسج الخيال وفرية أهل الكتاب[1] .

ونقل الإمام ابن حزم الظاهري الاتفاق الحاصل من جميع أهل الإسلام من السنة والمعتزلة والنجارية والشيعة والخوارج في عدم الجواز البتة أن يصدر من الأنبياء بالعمد وبغيره معصية لا صغيرة ولا كبيرة[2] .

تعريف الكبائر والصغائر :

أرجح ما جاء في تعريف الكبائر: «هي ما ترتب أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب»، أما الصغائر: «فهي ما لم تشتمل على حد في الحياة الدنيا ولا وعيد في دار الآخرة»[3] .

والصغائر نوعان :

- صغائر الخسة التي تحلق فاعلها بالأراذل، كسرقة حبة أو لقمة والتطفيف بتمرة .

- وصغائر ليست من هذا النوع كالنسيان مثلا[4] .

النبي :

لغة: النبيء بالهمزة وتركه، مأخوذة من النبأ وهو الخبر؛ لأنه مُخبِر بكسر الباء، فإنه يخبرنا بالأحكام عن الله جل جلاله إن كان مرسلاً أيضاً، وإن كان نبياً فهو يخبرنا بنبوته ليحترم، أو مُخبَر "بفتحها" فجبريل يخبره عن الله تعالى[5]، أو مأخوذ من النبوة، وهي الرفعة؛ لأنه مرفوع الرتبة، ولأنّه ما من نبي إلا وهو أفضل من أمته أو رافع رتبة من اتبعه[6] .

اصطلاحاً: هو إنسان ذكر حر من بني آدم u، سليم عن منفِّر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه[7] .

ومن قال بنبوة «آسية امرأة فرعون - ومريم - وحواء زوجة آدم- وأم موسى- وهاجر- وسارة» فهو مرجوح[8] .

ما الفرق بين النبوة والرسالة؟ :

ومما يذكروه للمقارنة بين النبوة والرسالة وأفضلها: أن «النبيّ الرسول» هو من نبأه الله تعالى بخبر السماء وأمره أن يُبلِّغ غيره، وإذا لم يؤمر بتبليغ غيره فهو النبي دون الرسول فالرسالة أخص من النبوة، فالرسول يكون نبياً، ولا يلزم ذلك العكس، لأن مرتبة الرسول عامة لنفسها، فالنبوة جزءٌ من الرسالة؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون

(1) ينظر شرح جوهرة التوحيد المسمى (إتحاف المريد بجوهرة التوحيد)، لعبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي (ت 1078هـ): 149، وفتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للباجوري (ت1276هـ): 315 .

(2) أرباب الكلام ابن حزم يجادل المعتزلة، لسعود بن صالح السرحان: 187 .

(3) ينظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الدمشقي (ت 792 هـ): 1/ 356 .

(4) ينظر المسايرة للكمال بن الهمام (ت861 هـ): 232، ومن أراد التوسع في هذه الفرعيات فعليه النظر في شرح العقيدة السَّفَّارينية، للسَّفاريني (ت1188هـ): 383 - 386 .

(5) ينظر لسان العرب، لابن منظور: 1 / 162 - 163، مادة (نبأ)، وفتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للباجوري (ت1276هـ): 31 .

(6) ينظر فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للباجوري (ت1276هـ): 31 .

(7) ينظر المصدر نفسه: 32 .

(8) ينظر المصدر نفسه: 33 .

الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها[1] .

المطلب الثاني: شبهات حول عصمة الأنبياء عليهم السلام

قبل الحديث عن هذه الشبهات لابد من التركيز على المسائل الآتية :

أولاً: علينا الإيمان بكل من ورد ذكرهم في القرآن الكريم من الرسل والأنبياء، وأن نؤمن بأن الله جل جلاله أرسلهم وأرسل غيرهم من الرسل لا يعلمهم إلا الله خالقهم، وواجب علينا الإيمان بهم جميعاً لقوله ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: من الآية ١٦٤ .

وقال أيضا ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ غافر: من الآية ٧٨ .

ومنهم من يُسمون بأولي العزم وهم خمسة: «نوح عليه السلام" وأبو الأنبياء "إبراهيم عليه السلام" وكليم الله "موسى عليه السلام" والمسيح "عيسى عليه السلام"، وحبيبنا "محمد" صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، وهذا القول للبغوي والمروي عن "ابن عباس" و"قتادة" وهو أرجح الأقوال[2] .

ثانياً: احترامهم واجب وسبهم كفر بل يجب قتل من سبهم «وهذا مذهب الشافعي وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم والإمام مالك والإمام أحمد وإسحاق والليث، وورد الإجماع عن أبي بكر الشافعي الفارسي في أن الحد لمن سب النبي e هو القتل كما أن حد من سب غيره الجلد وهو إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين"[3] .

ثالثاً: الأنبياء أكمل الخلق توحيداً والمرسلون أكمل منهم، والتوحيد الكامل هو عند الرسل من أولي العزم، وأكملهم «إبراهيم» و«محمد» عليهم الصلاة والسلام[4] .

رابعاً: هم أسبق البشر إلى الخير وأعظمهم امتثالاً لأوامر الله جل جلاله، وبعيدون عن النقص في السلوك والأخلاق والدين، ولا يفوتهم كمال الدين، فلا يوجد رسول كافر أو ورد كفر أحدهم أو تعمد أحدهم فعل شيء مما يوصف بنقص الدين البتة، وما ورد غير ذلك فهو من باب الاجتهاد أو التأويل وشبيهه، وبعدها البراءة من الإثم بعد التوبة الخالصة لله جل جلاله[5] .

خامساً: هل يجوز إطلاق الزلة على الأنبياء؟ .

ورد عن «مشايخ بخارى» الجواز وهو «اسم الفعل»

(1) ينظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الدمشقي (ت792هـ): 1 / 256 .

(2) ينظر المصدر نفسه: 2 / 75 – 76 .

(3) ينظر كلمات للتأمل في الفكر والسياسة، د. أنور بن ماجد عشقي: 256 .

(4) ينظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الدمشقي (ت792 هـ): 1 / 166 .

(5) ينظر شرح العقيدة السفّارينية، للسفاريني (ت 1188هـ): 428 .

يكون مخالفاً للأمر دون قصد للخلاف، كالزلة لمن يمشي في الطين، وورد المنع من «مشايخ سمرقند» وقولهم بعدم الجواز هو إطلاق لفظة «الزلة» على فعل الأنبياء ولا يجوز إطلاق لفظة «المعصية» عليهم والأفضل هو قولنا: «فعلوا بالفضائل مع إمكانية فعل الأفضل فعوتبوا لذلك»[1].

سادساً: ليس معنى العصمة أن الأنبياء كالملائكة وحينها لا ثواب على الترك ولا مدح على الفعل، بل معناها أن لا يخلق الله فيهم ذنباً مع وجود الدواعي النفسية عندهم، فإنهم بشر والبشر كما يقوم ويأكل ويشرب وينام كذلك توجد عنده شهوة اللذائذ وما تريده النفس الإنسانية ولكن لا يخلق الله في قلوبهم وفي قوالبهم منها كلَّ ما لا يرضى به الله تعالى[2].

سابعاً: فإن قيل ما الرأي وقد نُسب إلى الأنبياء مما يوهم خلاف العصمة؟.

قلنا: إن كان من أخبار الآحاد فمردود، وإن كان من غيرها فمؤول بصدورها بطريق الخطأ الاجتهادي أو السهو أو النسيان أو أنها خلاف الأولى وجرى عليها عتاب كما بين الأحباب[3].

ثامناً وأخيراً: الاتفاق حاصل على أن الأنبياء والمرسلين لهم العصمة من الله تعالى من الكبائر قبل وبعد النبوة ومن الصغائر بعد النبوة كالسهو والنسيان وخلاف الأولى.

غير أن الخلاف في عدم وقوع الكبائر هل هو العقل أم المعجزة؟ وحجة عدم وقوع الصغائر؛ إذ قالوا: لو جوزناها عليهم لكان الاقتداء بالأنبياء باطلاً؛ وليس في أفعالهم ما يتميز قصده من إباحة وقربة أو حظر أو معصية ومن قال بتجويزها فلا أصل لمقاله[4].

وللحديث عن الشبهات حول عصمة الأنبياء عليهم السلام نحتاج إلى بحث مستقل تناقش فيه شبهات الخصوم حول عصمة الأنبياء كل آية على حِدَة ويأتي عقيبها أقوال العلماء المفسرين للقرآن الكريم تفند هذه الشبهات إلا أننا جئنا بهذا الموضوع مفتاحاً للكتاب الذين عساهم أن يكتبوا في مثل هذه الأبواب مدافعين عن حرمة الأنبياء عليهم السلام، ودورنا كباحثين أننا نكتفي فقط بالإشارة والتلميح لأن موضوعنا الأساسي هو سيدنا آدم عليه السلام أول الأنبياء ودفع شبهات الخصوم عن عصمته فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: فمنها في باب الاعتقاد: فالله تعالى يقول: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٩.

وقولهم بعدم الشك في أن المراد بالنفس الواحدة

(1) ينظر تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ت710هـ): 1 / 81.

(2) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الكريم محمد المدرس (ت 2004م): 1 / 146.

(3) ينظر المصدر نفسه: 1 / 146.

(4) ينظر مفاتيح الغيب، للرازي (ت606هـ): 3/ 7، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت671هـ): 1/ 211-212.

«آدم وحواء» عليهما السلام فهذه الكائنات بأسرها عائدة إليهما، وبالتالي صدر الشرك عنهما[1] .

ورد الطاهر بن عاشور قولهم بأن النفس الواحدة، هي «قصي بن كلاب» عندما تزوج بامرأة من قبيلة خزاعة فأنجبت له أربعة أولاد، «عبد مناف» و«عبد العزى» و«عبد الدار» والرابع «عبداً» دون إضافة وهو الذي يسمى بـ "عبد قصي"، وليس آدم وحواء المقصودين[2] .

ثانياً: قالوا إبراهيم عليه السلام لم يكن عالماً بالله ولا باليوم الآخر، فقد قال وبنص القرآن الكريم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ الأنعام: من الآية ٧٦، وقال : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: من الآية ٢٦٠ .

الجواب: فهو مبني على أن الاستفهام على سبيل الإنكار وأما الثاني فليس الخبر كالمعاينة[3].

ثالثاً: قالوا في باب التبليغ الله تعالى يقول عنه عليه الصلاة والسلام: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ الأعلى: ٦ – ٧، فالاستثناء هنا يدلل على حصول نسيان لما جاء من الوحي .

وجواب هذه الشبهة: لا وجود للنهي عن نسيان الوحي الذي يكون ضد الذكر، إنما المراد النسيان الذي معناه «الترك» فنوجهه بأنه ترك العمل بالأولى[4] .

وقالوا: الله تعالى قال فيهم: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن: ٢٦ – ٢٨ .

ولولا خوفنا من حصول التخليط من الأنبياء في تبليغهم للوحي لم تكن فائدة لاستظهارهم برصد كل مرسل معهم، ورد الرازي متسائلاً عن السبب بعدم جواز الفائدة بدفع رصد الشياطين حال وسوستهم[5].

رابعاً وأخيراً: فإن قال قائل فلِمَ لا يجوز على الأنبياء والمرسلين وقوع الزلل والعصيان كبيراً كان أم صغيراً؟.

الجواب: الإجماع حاصل في عدم وقوع الذنب منهم عليهم الصلاة والسلام وذلك للأدلة الآتية :

1 . لو قاموا بذنب معين فبهذا الذنب سيكونون أدنى مرتبة من العصاة في هذه الأمة وهذا لا يجوز في حقهم .

2 . ولو صدر عنهم الذنب لكانوا فاسقين لا شهادة لهم وعندها لا نبوة ولا رسالة ويتناقض مع قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾البقرة: من الآية ١٤٣، فكيف يكون شهيداً وهو فاسق؟ .

(1) ينظر مفاتيح الغيب، للرازي (ت 606هـ): 3/ 10 .
(2) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 8/ 388 .
(3) ينظر تفسير القرآن العظيم، للسمعاني (ت 489هـ): 1 / 266، وليس الخبر كالمعاينة حديث رواه الإمام أحمد في مسنده: 3 / 341، برقم (1842)، وابن حبان في صحيحه: 14 / 96 – 97، برقم (6213)، (6214) .
(4) ينظر مفاتيح الغيب، للرازي (ت 606هـ): 11/ 3 .
(5) ينظر مفاتيح الغيب، للرازي (ت 606هـ): 11/ 3 .

3. ولو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم وذلك حرام:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ الأحزاب: من الآية ٥٧ .

4. ومع وجود الذنوب والمعاصي فنحن ملزمون بالإتباع لقوله تعالى:﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ طه: من الآية ٩٠، وهذا يتصادم مع المعقول والمنقول .

5. ببديهة العقل نعلم أنه لا أقبح ممن رفع الله درجته وجعله نبياً، وأنزل عليه الوحي والكتاب، أن يفضل نزواته ولذاته في الانقياد إلى الرغبات والشهوات على مأمور ربه، وهو باطل بالضرورة، بل أن ذلك غير لائق بآحاد الأمة من الوعاظ أن يأمروا بالمعروف ويأتوا بنقيضه وينهون عن المنكر ويرتكبوه فمن باب أولى أنه لا يليق بالأنبياء الذين قال الله تعالى مزكيّاً لهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الأنبياء: من الآية ٩٠، وقال فيهم واصفاً إياهم بالخيرية: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ ص: ٤٧، بل إن إبليس شاهد عياناً أنه لا سبيل إلى إغوائهم إذ قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ص: ٨٢ – ٨٣، فضلاً عن وجود دفوعات عن حرمة عصمة الأنبياء من المعقول والمنقول[1] .

المطلب الثالث: شبهات حول عصمة أول الأنبياء آدم عليه السلام"

لا يمكن أن يفهم القارئ الكريم أن آدم عليه السلام كان معصوماً إلا بالرجوع إلى الحلقات الخمس التي تدور على جهود العلماء المفسرين لآيات رب العالمين في القرآن الكريم، والتي تركزت في سورة البقرة وسورة طه إذ الحديث عن آدم عليه السلام خارج هاتين السورتين ما هو إلا إشارة وتلميح وهذا مما لمسناه ونحن نبحث هذا الموضوع وبناءً على ذلك ها هي الحلقات الخمس:

الحلقة الأولى: نبوة آدم عليه السلام واصطفاءه

لم يذكر القرآن الكريم في معرض حديثه عن آدم عليه السلام أنه من الأنبياء والمرسلين، بل ذِكْرُ النبوة ورَدَ حقيقةً في الحديث الشريف عن أبي ذر "رضي الله عنه" أنه قال: "قلت يا رسول الله، أرأيت آدم نبياً كان؟ قال: نعم نبياً ورسولاً كلمه الله فقال له: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة"[2]، وفي رواية: «آدَمُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ»[3] .

نعم ورد الاصطفاء كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ آل عمران: ٣٣ .

والمعتمد هو قول نبينا الكريم ﷺ الثابت في

(1) ينظر المصدر نفسه: 3/ 9 – 10 .

(2) أورد هذا الحديث ابن حبان في المجروحين، وعزاه الهيثمي في المجمع إلى الطبراني في الاوسط، وذكر الشوكاني في فتح القدير أحاديث كثيرة من هذا النوع: 1/ 166 – 167 .

(3) تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت 256هـ)، إعداد الدكتور محمد بن عبد الكريم بن عبيد أستاذ الحديث وعلومه المشارك قسم الكتاب والسنة جامعة أم القرى: 306، برقم (37)، وشعب الإيمان، للبيهقي (ت 458هـ): 1 / 276، برقم (129) .

الصحيحين عن الشفاعة: "إن الناس يقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شيء"[1].

واصطفاء آدم عليه السلام ونوح وآل إبراهيم وآل عمران حتماً لا يرقى ذلك الاصطفاء على شخصه ﷺ نعني محمداً ابن عبد الله ﷺ، ولا الأمم على أمته، فهو عام يراد به خاص كقوله تعالى ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ الحجرات: من الآية ١٤، وإنما قاله فريق من الأعراب وكذلك قوله﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ الشعراء: ٢٢٤، والحاكم الفاصل في الآيات على أن أمته وضوحاً خير الأمم قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: من الآية ١١٠[2].

الحلقة الثانية: كلام الشيطان ووسوسته لآدم عليه السلام

اختلف العلماء هل الشيطان تكلم دون الوسوسة[3]، أم أنه اكتفى بالوسوسة دون الكلام، والراجح أنه جمع بينهما، كقوله تعالى﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ طه: من الآية ١٢٠، وكقوله ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ الأعراف: من الآية ٢٠، بل أنه حلف لهما وقال ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الأعراف: ٢١[4].

والظاهر عندنا أن الشيطان استخدم جميع ما يملك من الأساليب الإغرائية على غواية أبينا آدم عليه السلام جامعاً بين التعليل لنهي الله عن عدم أكلهما من الشجرة وما ذلك إلا ألا يكونا ملكين أو حصولهما على مرتبة الخلدية، وبين القسم ومعه التأكيد «بأني» و«لكما» و«لمن» كل ذلك أدوات توكيد بل دلاهما على الشجرة: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ الأعراف: من الآية ٢٢، زائداً الوسوسة المستمرة: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾الأعراف: من الآية ٢٠[5]، حتى وقع آدم عليه السلام بعد أن كان ينهل من الجنة وما فيها من سعادة[6].

الحلقة الثالثة: نظرات المفسرين في آيات سورة البقرة حول أكل آدم عليه السلام وزوجه من الشجرة: وذلك في قوله جل جلاله ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ

(1) صحيح البخاري، للبخاري الجعفي (ت 256هـ): 3 / 1215، رقم (3162)، وصحيح مسلم، للنيسابوري (ت 261هـ): 1/ 127، رقم (501)، وفتح الباري، للعسقلاني (ت 852 هـ): 11 / 508، كتاب الرقاق/ باب 51، رقم (6565).

(2) حاشية الغزنوي (ت1296هـ) على جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي (ت905هـ): 1/ 238 .

(3) الوسوسة: هي حديث خفي مكرر يلقيه الشيطان في قلب الإنسان . ينظر الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية، لعبد الهادي بن سعد الشمراني: 71 .

(4) ينظر محاسن التأويل، للقاسمي (ت1322هـ): 1/ 282 – 283 .

(5) ينظر المصدر نفسه: 1/ 282 – 283 .

(6) ينظر قصص القرآن، لمحمد أحمد جاد المولى (ت 1363هـ): 19 .

حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٥- ٣٨.

تناول الماوردي قضية أكل آدم عليه السلام من الشجرة فقال: "يُحتمل أن يكون آدم عليه السلام قد تأول أن التحريم لأكل الشجرة ليس تحريماً بل رآه تنزيهاً، أو ظنَّ أن نهيه المراد بالشجرة عينها وليس جنسها، وأنه لا يكون عاصياً إذا أكل من غير جنسها، وحصل ذلك من الشيطان الذي أزلهما، والهبوط المراد به آدم وحواء والشيطان أو آدم وحواء والشيطان والحية أو آدم وذريته والشيطان وذريته"[1].

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني: «لما لم يكن زلة آدم من نفسه ومن مقتضى طبعه بل بوسوسة عدوه أشفق عليه وتوجه نحوه وتلطف معه «فتلقى» استفاد «آدم» من ربه كلمات وهن:﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الأعراف: من الآية ٢٣»[2].

وذكر ابن العربي أن أكله كان «نسياناً أو تأولاً لرغبة الخلد»[3]، ويصدق القول بأن آدم عليه السلام أكلَ من غير الشجرة التي أُشير إليها على باله أن النهي غير واقع على جنسها[4].

ومن العلماء العارفين من تأول الأكل الحاصل ما هو إلا ناجم عن دلال، أي طمعاً في دلال الله وذلك لما قال له كُل من الجنة وتمتع، وكلها لك إلا هذه، صارت عندها مشتهى القلب فسكنت نفسه عندها[5]، ولذلك قال تعالى:﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ البقرة: من الآية ٣٥، والأعراف: من الآية 19؛ لأن قربهم يقتضى الألفة، وهذه الألفة تبعث على المحبة، والمحبة تصم وتعمي فتستر القبيح ويتجاوز عن كل نهي فيحصل: ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ الإسراء: من الآية ٣٢، وقال أيضاً:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾الأنعام: من الآية ١٥٢، وكل ذلك معناه: لا تزنوا، ولا تأكلوا مال اليتيم[6]، والغريب أن الله لم يذكر حواء في قوله:﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ البقرة: من الآية ٣٧، في حين ذكرها في قوله ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ الأعراف: من الآية ٢٣ .

وذكر الطاهر بن عاشور أن هذا القول جاء على الابتداء وهو تكريم لآدم عليه السلام فجعله خليفة في الأرض وهذه العناية هي المقصودة[7] .

(1) النكت والعيون، للماوردي (ت 450 هـ): 1/ 106 – 107 .

(2) تفسير الجيلاني، لعبد القادر الجيلاني (ت 561 هـ): 1/95 .

(3) ينظر أحكام القرآن، لابن العربي (ت 543هـ): 1/ 29ـ30 .

(4) ينظر أحكام القرآن، لابن الفرس (ت 597 هـ): 1 / 57.

(5) ينظر تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، للبقلي (ت 606هـ) :1 / 44 .

(6) ينظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، للقاسمي (ت 1322هـ): 1/ 279 .

(7) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 1 / 423 .

وذهب العلامة عبد الكريم محمد المدرس مؤولاً قوله تعالى ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا﴾ البقرة: من الآية ٣٨، إذ قال: «إما المقصود آدم وحواء ونسلهما الذي سيوجد منهما تنزيلاً للمعدوم منزلة الموجود، أو لهما فقط على سبيل الاحترام، فإن الكرام يعاتبون بلطيف الكلام لا بالخشونة والتحقير كاللئام»[1]، وقال: قال تعالى: ﴿مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ البقرة: من الآية ٣٦، كناية عن القلة بالنسبة لزمان الآخرة وزمن الدنيا إذ الثاني لا وجود له قياساً على الزمن غير المتناهي الذي يعيش فيه أهل الجنان[2]، وسر الفائدة من تكرار «الهبوط» بيان أن العفو عن المخالفات لا للرجوع في الدنيا إلى الجنة فإنه يخالف سر القدر المحتوم[3] وعندنا هذا القول أظهر من قول الحافظ ابن كثير القائل كرر الاهباط للتأكيد كما تقول: قُمْ قُمْ، وأما الهدى فمعناه «الأنبياء والرسل والبيان»، أو هو «القرآن»، أو هو «محمد»ﷺ[4]، والظاهر هو ما جاء به الأنبياء والرسل على تاريخ البشرية من آدم عليه السلام، وإلى الرسول الخاتم ﷺ.

الحلقة الرابعة: نظرات المفسرين في آيات سورة طه حول أكل آدم عليه السلام وزوجه من الشجرة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ طه: ١١٥ – ١٢٢، وذكر الطبري أن المراد بالعهود الوصايا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ طه: من الآية ١١٧، وكقوله: ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾طه: من الآية ١١٩، وكل ذلك أصابه النسيان[5].

وذهب الماتريدي إلى أن النسيان الذي ذُكر من آدم عليه السلام جائز أنهُ لو تكلف لحفظه وذكره فإنما عوقب لذلك وهو من جراء عدم حصول العزم: أي المحافظة على أمر الله والتمسك به، وجعل قول من يقول "فنسي" أي آدم عليه السلام معناه ضيع وترك، ما هو إلا بالقول القبيح في حق آدم عليه السلام ولا يجوز القول نفسه على نبي أو رسول[6]، بل يمكن القول يلزمه التحفظ والتيقظ لكثرة معرفته وعلو

(1) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم محمد المدرس (ت 2004م): 1/ 144 .

(2) ينظر المصدر نفسه: 1/ 144 .

(3) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم محمد المدرس (ت 2004م): 1/ 148 .

(4) ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت 774هـ): 1/ 128 .

(5) ينظر جامع البيان، للطبري (ت 310هـ): 9/ 275 – 277.

(6) ينظر تأويلات أهل السنة، للماتريدي (ت 333هـ): 3/ 311 .

منزلته فصار حينها ناسياً[1] .

وأفلح الماوردي عند قوله تعالى: (فتشقى) أي: لأنه المخاطب دون حواء، ولأنه هو الكاد عليها فكان بالشقاء أخص ولم يقل لأجل الفاصلة[2] .

وكلمة «غوى» وردت عند الواحدي معناها: «لم ينلْ مرادهُ في أكله من الشجرة»[3]، وذلك جيد عندنا أي: ما كان في باله من مقالة الشيطان والإغراء الذي قدمه في تقريره: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ طه: من الآية ١٢٠، ولما نَفَذَ فسد عيشه وصار من العز والراحة إلى التعب ولم يرشد[4]، ومن ثم لا يجوز أن يقال آدم عليه السلام عاصٍ، لأن مثل هذا الكلام لا يجوز أن يطلق على أحدٍ إلا إذا اعتاد المعصية، وهذا كالرجل يخيط ثوبه لا يقال خياط إلا إذا اعتاد الخياطة ثم إن الإنسان على حد قول ابن عباس رضي الله عنه لم يسم إنساناً إلا لأنهُ ينسى[5]، وما يدريك أن أبا أمامة الباهلي والحسن البصري قد ورد عنهم في وصفهم لحلم آدم عليه السلام بأنه لو قورن بحلم جميع أولاده لرجح حلم آدم[6].

ولم يؤيد الزمخشري من تأول كلمة «غوى»: بأنها تعني تَبشُم من كثرة الأكل وسماها بالتفسير الخبيث بل عدّ الزمخشري ما جرى لآدم عليه السلام ما هو إلا درسٌ لأولاده على مدى الدهور وما الذي فعله آدم بالنسيان إلا صغيرة غير منفرة، وعلى الأولاد والأحفاد أن لا يتجاسروا على ما في فعلهم من الكبائر[7]، وعندنا ذلك تلويح منه برحمة الله تعالى في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وحقاً من ينظر إلى النظم القرآني كيف تعامل الله في قصة آدم عليه السلام يقول عنه "عصى" وفي الوقت نفسه يقول عنه "فنسي" يُظهر ما فعله ويبرر فعلته[8]، فإن قلنا إن ذلك العالم الذي كان فيه آدم عليه السلام عالم تربية فلم نجانب الصواب[9]، ولذلك بعد خروجه من الجنة اجتباه وهداه للنبوة، وذلك أن الهداية إذا ذكرت مع الاجتباء في القرآن الكريم معناها النبوة[10] .

وتوقف السيد رشيد في مسألة «العصيان والتوبة» التي حكاها القرآن الكريم في حق سيدنا آدم عليه السلام وعدها من المتشابه، فضلاً عن كونها قبل أن يدركه عزم النبوة مع أن السهو والنسيان لا ينافيان العصمة[11] .

ولكن قد يكون في ذلك الزمان ما يأخذ الإنسان على

(1) ينظر النكت والعيون، للماوردي (ت 450هـ): 1 / 105 .
(2) المصدر نفسه: 3 / 430 .
(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ت 468هـ) :2 / 707 .
(4) ينظر تفسير القرآن، للسمعاني (ت 489هـ): 2 / 361 .
(5) ينظر المصدر نفسه: 2/ 360 .
(6) ينظر المصدر نفسه: 2/ 358 .
(7) ينظر الكشاف، للزمخشري (ت 538هـ): 3/ 91 .
(8) ينظر أحكام القرآن، لابن العربي (ت 543هـ): 3 / 259.
(9) ينظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 1/ 424، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم محمد المدرس (ت 2004م): 5/ 377 .
(10) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم محمد المدرس (ت 2004م): 16/ 197 .
(11) ينظر تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار (ت 1935م): 1/ 232 .

النسيان وهو ما حصل لآدم عليه السلام[1]، حتى إذا تناوش المأكول من الشجرة بدت له ولزوجته سوءاتهما وطفقا يخصفان: ﴿عليهما من ورق الجنة﴾: أي يلزقان عليهما من أوراق الجنة مع بعد الملابس الخالدة[2].

فآدم عليه السلام لم يخرج من الجنة بأكله من الشجرة إلا متأولاً، والتأويل لنص الله تعالى هو الذي أخرجه وهو لم يقصد المعصية والمخالفة، وكل ما في باله أن يزداد حظوة عند الله عز وجل فيكون خالداً فيما هو فيه وملكاً مقرباً مع أن الواجب أن يحمل قول الله على ظاهره ولعل هذا القول قول الظاهرية بل قول ابن حزم الظاهري[3].

وبالجملة هذه القصة تحكي وسوسة الشيطان التي قد يصار صاحبها إلى لين العريكة وفتور العزم وأن يدركه الضعف البشري[4]، وهذا هو طبع الإنسان من آدم عليه السلام وإلى اليوم ضعف وقوة ونسيان وخطايا وتوبة فنحن تابعون لآدم عليه السلام ومن شابه أباه فما ظلم[5].

الحلقة الخامسة: تحليلات المفسرين لمعاني آيات البقرة وطه المتعلقة بآدم عليه السلام[6]:

ففي هذه الحلقة سنقف على الحكم الفصل لكبار علماء التفسير في مسألة أكل آدم من الشجرة التي نُسب إليها العصيان والغواية والتي تمسك بها الخصوم على عدم عصمة آدم عليه السلام، وهذه تعد في نظرنا رداً على الخصوم وبقاء العصمة ثوباً أبيَض وتاجاً على رؤوس الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

فذكر الزمخشري أن ما صدر من آدم عليه السلام ما هو إلا من الصغائر المغمورة بالأعمال القلبية من إخلاص وأفكار صالحة وهي من أفضل الأعمال والطاعات[7].

ويذكر ابن العربي أنه «لا يجوز التقول على أول الأنبياء عليه السلام من تلقاء أنفسنا فكل ما في الأمر أنه أكل ناسياً، وإن قال المعترض علينا وكيف والله جل جلاله يقول ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: من الآية ٣٥، الأعراف: من الآية 19، قلنا: أي ظالمين لأنفسكما كما قال تعالى﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ فاطر: من الآية ٣٢، ثم أن الناسي في الحنث معذور ولا يتعلق به الحكم»[8].

أما ابن الفرس فورد عنه أن ما حصل من آدم عليه السلام كان عن تأول ونسيان، ولذلك كان إطلاق كلمة "عصى" و"غوى" تجوزاً وليس حقيقة وهو الذي يمكن وقوعه من قبل الأنبياء والمرسلين ويؤاخذون به إذا وقع منهم[9].

(1) ينظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت 671هـ): 22/ 166 .
(2) ينظر تفسير القاسمي المسمى «محاسن التأويل»، للقاسمي (ت 1322هـ): 11/ 120 .
(3) ينظر تفسير القاسمي المسمى «محاسن التأويل»، للقاسمي (ت 1322هـ): 1/ 281 .
(4) ينظر زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت 597هـ): 3/ 179 .
(5) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ت1376هـ): 515 .
(6) اللتان تكلمنا عنهما في الحلقة الثالثة والرابعة .
(7) ينظر الكشاف، للزمخشري (ت 538هـ): 1/ 133 .
(8) أحكام القرآن، لابن العربي (ت 543هـ) :3/ 260 .
(9) ينظر أحكام القرآن، لابن الفرس (ت 597هـ): 1/ 57 .

وقال الرازي: «كل ما حصل لآدم عليه السلام كان قبل نبوته لا بعدها"[1] .

وورد عن البقلي أن آدم عليه السلام عوقب لكونه نسي بالحضرة لا في الغيبة[2] .

وذكر العز بن عبد السلام «كل ما في الأمر أنه عليه السلام كان ناسياً ووصف بـ"عصى" لعدم تحرزه لكون الأنبياء مأمورين بالتحرز"[3] .

وجاء عن ابن فورك رحمه الله «كان هذا من آدم عليه السلام قبل النبوة بدليل ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ طه: ١٢٢، إذ حصل الاجتباء والنبوة والهداية بعد ذلك»[4]، ولعل ذلك من قبيل قول سيدنا الجنيد البغدادي رضي الله عنه: "حسنات الأبرار سيئات المقربين"[5] .

وذهب الأندلسي إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر بجعل آدم عليه السلام خليفته في هذه الأرض فهل سيبقى في الجنة؟ بل القدرة لا تكابر وحكم الله لا يعارض[6] .

وانتقد الثعالبي ما ورد عن مالك وهو قول ابن القاسم: «بأن المعصية الأولى التي حصلت هي الكبر والحسد من إبليس، والشح من آدم عليه السلام عندما شح بأكله من الشجرة"[7]، وإطلاق الشح على آدم عليه السلام لا يجوز ففيه ما لا يخفى عليك، والواجب اعتقاد تنزيه الأنبياء جميعاً، بل الله تعالى قال في آدم عليه السلام ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ﴾ طه: ١١٥ .

وتعقب المراغي قول المخالفين لنا، فقال: «ما صدر عن آدم عليه السلام قبل النبوة وقع نسياناً ويجب تفويض أمره إلى الله وهو لا ينافي العصمة"[8] .

وسيد قطب قال: «ما جرى من آدم عليه السلام خاص بشخصيته وتخلص منها بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة"[9] .

أما الطاهر بن عاشور فقد ذهب إلى «أن ما صدر من آدم عليه السلام لم يكن عليه جزاء بعقاب أخروي ولا نقص في الدين، وهو من الصغائر التي ليس فيها اكتراث ولا فساد"[10]، ولذلك لم يكن لها عقوبة سوى الخروج من الجنة؛ لكون الأنبياء معصومين من الكبائر والصغائر[11].

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (ت 606هـ): 22 / 109 .
(2) ينظر تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، للعارف بالله البقلي (ت606 هـ): 2 / 504 .
(3) تفسير العز بن عبد السلام، للسلمي (ت 660 هـ): 1 / 31 .
(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت 671هـ): 12/ 170.
(5) المصدر نفسه: 1 / 212 .
(6) ينظر البحر المحيط، للأندلسي (ت745هـ): 1 / 310 .
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (ت875هـ): 1 / 49، وينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت 546هـ): 1/ 125 .
(8) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (ت 1952م): 1 / 94 .
(9) في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت1966 م): 1/ 61 .
(10) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت 1973م): 1/ 423 .
(11) أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري :1/ 45 .

والذي ظهر لنا أن آدم عليه السلام ما صدر عنه قبل النبوة كان من قبيل النسيان أو التأويل ولم يكن عن تعمد وعصيان حاشاه وما ذلك الابتلاء إلا كما في علم الله تعالى وقضاءه وتقديره إذ لكونه ما خُلق للجنان بل للعبادة والخلافة، إذ قال﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، وقال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: من الآية ٣٠ .

الخاتمة

الحمد لله من به تتم الصالحات وصلاته وسلامه على المبعوث رحمة للكائنات وعلى آله وصحابته المواظبين على فعل الخيرات .

وبعد: فهذه الدراسة في «ردود المفسرين على الشبهات حول عصمة أول الأنبياء عليه السلام» درسناها وتمخضت دراستنا بالنتائج التي أجملناها وهي كالآتي :

1. آدم عليه السلام هو أول مخلوق من البشر على الأرض فلم يُخلق قبله أحد، وهو أول الأنبياء وما جاء به المعترضون فليس له دليل .

2. آدم عليه السلام مخلوق من التراب لا أب له ولا أم ولا يختلف على ذلك اثنان .

3. علمه الله الأسماء كلها وسجدت له الملائكة سجود تشريف وحفاوة إلا إبليس أبى عندها طُرد من حضرة الرب لمخالفته الأمر الصريح .

4. لم يكن إبليس من الملائكة قطعاً ودليل المخالفين ضعيف بل هو من الجن ومخلوق ناري وله ذرية وكل هذه ليست أوصاف الملائكة بل هم مخلوقات نورانية لا تزاوج بينهم ويفعلون ما يؤمرون .

5. الجنة التي سكنها آدم عليه السلام جنة سماوية وما جاء به المخالفون لا يقوم دليلاً علينا وذلك لصريح الأثر .

6. الشجرة نكرة عند الجمهور لا ورود للأثر في تعيينها وما ورد من المخالفين في كونها شجرة الحنطة أو غيرها لا تثبت أمام النظم القرآني بل القول في الوهم والتخمين أنها شجرة الجنس أقرب من قولهم الحنطة التي أدت إلى خروج الخارج.

7. حواء زوجة آدم عليه السلام ومخلوقة من آدم عليه السلام وفي الآية والحديث إشارة إلى الضلع الأعوج ولا حجة لمن قال "من جنس آدم وليس منه" إذ يتعارض .

8. حواء عليها السلام لا دخل لها في أعداء آدم عليه السلام وكل ما جاء من هذا القبيل فهو من الإسرائيليات مع مخالفتها لصريح الآيات .

9. جميع الآيات كانت موجهة لآدم عليه السلام دون حواء؛ لأن المرأة حرة مستورة وعورة وكانت درساً لنا وترفعاً لنا بموجب الآيات فهي تابعة وليست متبوعة .

10. حديث الحية الذي ورد عند بعض المفسرين ما هو إلا حديث من نسج الخيال لم يثبت سمعاً ولا عقلاً .

11. العصمة وإن كانت في تعريف علماء الكلام لها اختلاف لكن لا يعني من إجمالهم أن الأنبياء والمرسلين غير معصومين من الكبائر والصغائر المنفرة قبل وبعد البعثة مع بقاء الاختبار والتكليف للبشرية دون التحول إلى الملائكية لأنها حينها لا أسوة لهم علينا بالاقتداء.

12. الإجماع قائم على أنه لا نبوة للأنثى ولا الخنثى ومن خالف في ذلك فقد استدل بما لا تقوم به حجة .

13. نعم هناك فرق بين النبي والرسول وهو الرأي الصواب إذ الرسول أعلى رتبة من النبي .

14. شبهات المعترضين على عصمة الأنبياء حقاً تحتاج إلى دراسة كل نبي على حدة من خلال أقوال العلماء حول عصمة الأنبياء؛ لكي يُزال اللبس بدلالة المعقول والمسموع، والذي فعلناه يعد فاتحة خير للباحثين .

15. الإجماع قائم على حرمة المساس بالأنبياء والمرسلين فإيذاؤهم حرام والمساس بهم فضيحة وشنيعة وأعلاهم أولو العزم وأعلاهم الخليل والمصطفى العدنان وأعلاهما الرسول الخاتم محمد ﷺ.

16. آدم عليه السلام سواء أكل ناسياً أو متأولاً أم أن الشجرة ليست هي المشار إليها وأكل منها، كل ذلك دون نقاش كان منه قبل النبوة والعالم ليس عالم تكليف آنذاك .

17. آدم عليه السلام ليس مخلوقاً للجنة بصريح القرآن الكريم، ليكون له خليفةً في الأرض، غير أن الجنة وجدت له تدريباً على التخلص من الشيطان بالاحتراز .

18. كل ما صدر عن آدم عليه السلام لا يخل بالعصمة، إما لأنه حينها غير نبي، وإما لأنها صغيرة غير منفرة، وجاء فعلها نسياناً، وهو من قبيل العتب بين الأحباب .

19. إبليس إن ورد مع غير آدم عليه السلام كان إبليساً وإن ورد مع آدم عليه السلام يأتي اسمه الشيطان هذا من رحمة الله تعالى بنا لاختلاف المعاني وأن الشيطان من شطن وبعد وأسرع وراح وعاد وكل ذلك يدل عن رحمة الله تعالى بنا؛ لأجل التوبة والرجوع، دون الإبلاس إذ لا رحمة فيه ولا معه .

20. الشيطان سواء شافه آدم عليه السلام أو وسوس له أو قاسمه أو أزله أو دلاه، ليس بالذي يدعونا بالبحث فيه، لورود النقل من القرآن عن هذه الأدوات الشيطانية وعلمها راجع إلى الله في الخفاء فليحذر الإنسان من غواية الشيطان .

21. القول إن هذا الموضوع مكتوب فيه أو مدروس يعد حجر عثرة أمام الواصلين إلى الحق كيف وأن المجال واسع أمام الباحثين والعقول متفاوتة فليس علينا إلا ملاحظة الناقلين لنتائج غيرهم أمام البحث في موضوع يخرج فيه الباحث بدراسة غير الدراسة التي أخرجها غيرهُ فهو شيء حضاري وممتاز إن كانت تقوم على دراسة واعية وجذابة .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

* **إتحاف المريد بجوهرة التوحيد**، لعبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي (ت 1078هـ)، الثانية (1955م)، مطبعة السعادة، مصر .

* **أحكام القرآن ابن العربي**، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت 543هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الثالثة (1424هـ - 2004م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* **أحكام القرآن ابن الفرس**، للإمام أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الاندلسي (ت597هـ)، تحقيق طه بن علي، الأولى (1427هـ – 2006م)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان .

* **أحكام القرآن الكريم**، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد سلامة الأزدي الطحاوي (ت321هـ)، تحقيق حامد عبد الله المحلاوي، الأولى (1433هـ – 2012م) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

* **أرباب الكلام ابن حزم يجادل المعتزلة**، لسعود بن صالح السرحان، الأولى (1431هـ – 2010م)، دار ابن حزم بيروت – لبنان .

* **إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن**، للشيخ الإمام عطية بن عطية الأجهوري (ت1190هـ) اعتنى به أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، الأولى (1430هـ – 2009م)، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان .

* **أصول الدين الإسلامي**، د. قحطان الدوري ود. رشدي عليان، الثانية (1422هـ – 2002م)، دار الفكر، عمان .

* **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، خرج آياته وأحاديثه محمد عبد العزيز الخالدي، الثانية (1427هـ – 2006م)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

* **اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، للإمام أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (ت410هـ)، تحقيق أبي المنذر النقاش، أشرف صالح علي، الأولى (1422هـ2001–م)، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

* **الأمثال في الحديث النبوي**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (ت 369هـ)، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الثانية (1408هـ – 1987م)، الدار السلفية، بومباي – الهند .

* **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي**، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت691هـ)، تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط، الأولى (2001م)، دار صادر، بيروت – لبنان .

* **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبي القاسم، نجم الدين (ت553هـ)، تحقيق د. علي سليمان العيد، الأولى (1418هـ 1997–م)، مكتبة التوبة، الرياض .

* **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، السادسة (1430هـ – 2009م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية .

* **بحر الكلام**، للإمام أبي المعين النسفي ميمون محمد بن محمد مكحول (ت 508هـ)، تحقيق السيد يوسف

أحمد، منشورات محمد علي بيضون، الأولى (1426هـ - 2005م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ)، إعداد إبراهيم شمس الدين، الثالثة (2010م)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان .

* **البرهان في متشابه القرآن**، للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت500هـ)، تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، الثانية (2010م)، دار صادر، بيروت .

* **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م)، الأولى (1420هـ - 2000م)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان .

* **تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت 256هـ)، إعداد الدكتور محمد بن عبد الكريم بن عبيد أستاذ الحديث وعلومه المشارك قسم الكتاب والسنة جامعة أم القرى، مكتبة الرشد، الرياض، ط1 (1420هـ - 1999م) .

* **الترجيح بالسنة عند المفسرين (جمعاً ودراسة)**، الدكتور ناصر بن محمد بن صالح الصائغ، الأولى (1431هـ 2010-م)، دار التدمرية، دار ابن حزم .

* **تفسير مقاتل بن سليمان**، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت 150هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، الأولى (1423هـ)، دار إحياء التراث، بيروت .

* **تفسير ابن أبي زمنين**، وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بي أبي زمنين المري (ت399هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، الأولى (1424هـ - 2003م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* **تفسير ابن كثير**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، د. محمد أنس مصطفى الخن، الأولى (1431هـ - 2010م)، دار الرسالة العلمية .

* **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت951هـ)، الأولى (1431هـ - 2010م)، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت .

* **تفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت322هـ)**، دراسة وتحقيق د. خضر محمد بنها، تقديم د. رضوان السيد، الأولى (1428هـ - 2007م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* **تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن**، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت875هـ)، (بدون تاريخ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .

* **تفسير الجيلاني**، لمحي الدين عبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، الأولى

(2009م)، دار الكتب العلمية، بيروت .

* **تفسير العز بن عبد السلام سلطان العلماء**، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (ت660هـ)، علق عليه أحمد فتحي عبد الرحمن، الأولى (1429هـ – 2008م)، دار الكتب العلمية، بيروت .

* **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1322هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الأولى (1431هـ – 2010م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* **تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة** تصنيف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي (ت333هـ) تحقيق فاطمة يوسف، الأولى (1425هـ – 2004م)، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت – لبنان .

* **تفسير القرآن العظيم**، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت643هـ)، تحقيق د. موسى علي موسى مسعود، د. أشرف محمد عبد الله القصاص، (1430هـ– 2009م)، دار النشر للجامعات القاهرة، دار ابن حزم .

* **تفسير القرآن**، للإمام العلامة أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت 489هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، الثانية (1432هـ – 2011م)، دار الوطن .

* **تفسير المراغي**، لأحمد مصطفى المراغي (ت1371هـ – 1952م)، الأولى (1365هـ – 1946م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

* **تفسير النسفي**، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو، الثانية (1420هـ – 1999م)، دار ابن كثير، بيروت .

* **تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن**، للشيخ أبي محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت606هـ)، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، الأولى (1429هـ – 2008م)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

* **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، للإمام محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (1354هـ – 1935م)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الثالثة (بدون سنة الطبع)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

* **تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بدون طبعة) .

* **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بدون سنة الطبع)،

دار ابن الجوزي، القاهرة .

* **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الأولى (1422هـ)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) .

* **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي (ت 279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (ت310هـ)، اعتنى بتصحيحه مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الإعلام، الأولى (1423هـ - 2002م) دار الإعلام، الأردن، ودار ابن حزم، بيروت - لبنان .

* **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (671هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، وخرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، (1428هـ - 2007م)، دار الحديث، القاهرة .

* **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار**، للعلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران (ت 1346هـ)، تحقيق زهير الشاويش، الأولى (1420هـ - 1999م)، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان .

* **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين**، للعلامة الفقيه أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي المصري المالكي (ت1241هـ)، الأولى (1434هـ - 2013م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

* **حاشية الغزنوي**، لمحمد بن عبد الله (ت1296هـ) على جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي (ت905هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، الأولى (1424هـ - 2004م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة .

* **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي (ت1270هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، الثالثة (2009م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (1431هـ - 2010م)، دار الكتاب العربي، بيروت .

* **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

* **شرح العقيدة الطحاوية**، للإمام القاضي علي بن علي

بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت792هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الارناؤوط، الثالثة (1432هـ – 2011م)، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت – لبنان .

* **شرح القعيدة السفّارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**، للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (ت1188هـ)، شرحها الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت1421هـ)، بدون طبعة (1428هـ – 2007م)، الكتاب العالمي للنشر، بيروت – لبنان .

* **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1(1423هـ – 2003م) .

* **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (ت 676هـ)**، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، حققه واعتنى به موفق مرعي، الأولى (1431هـ – 2010م)، دار الفيحاء، ودار المنهل ناشرون، دمشق .

* **صحيح ابن حبان**، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت 354هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الثانية (1414هـ – 1993م)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

* **العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية**، لعبد الهادي سعد بن هادي الشمراني، الأولى (1427هـ)، دار ابن الجوزي .

* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الثالثة (1421هـ– 2000م)، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض .

* **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة، الثالثة (1426هـ – 2005م)، دار الوفاء، المنصورة، ودار ابن حزم، بيروت .

* **فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، للعلامة إبراهيم بن محمد الباجوري (ت1276هـ)، تحقيق عبد السلام بن عبد الهادي شنّار، الأولى (1423هـ – 2002م)، مكتبة دار البيروتي، دمشق، حلبوني .

* **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ)، تحقيق عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت (1412هـ – 1992م) .

* **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت1385هـ – 1966م)، الرابعة والثلاثون (1425هـ – 2004م)، دار الشروق، القاهرة .

* **قصص الأنبياء والمرسلين**، لمحمد متولي الشعراوي

(ت 1419هـ - 1998م)، بدون طبعة (2008م)، مكتبة التوفيقية، القاهرة .

* **قصص القرآن الكريم**، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، الثالثة (1430هـ - 2010م)، دار النفائس، الأردن .

* **قصص القرآن**، لمحمد أحمد جاد المولى (ت1363هـ)، تحقيق الشيخ قاسم محمد النوري، راجعه كريم راجح، الأولى (1431هـ - 2010م)، مكتبة دار الفجر .

* **كتاب العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (بدون تاريخ) .

* **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن محمد الزمخشري جار الله (ت538هـ)، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، الخامسة (2009م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

* **كلمات للتأمل في الفكر والسياسة**، اللواء الركن الدكتور أنور بن ماجد عشقي، الأولى (1417هـ - 1996م)، مكتبة التوبة، الرياض .

* **اللباب في علوم الكتاب**، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1419هـ- 1998م) .

* **لسان العرب**، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3 (1414هـ) .

* **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الثانية (1428هـ - 2007م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* **مختصر تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل)**، للإمام محي السنة أبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت516هـ)، اختصار وتعليق الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، الثانية (1430هـ - 2009م)، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت .

* **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)**، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الأولى (1411هـ - 1990م)، دار الكتب العلمية، بيروت .

* **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، الثانية (1420هـ - 1999م)، مؤسسة

الرسالة .

* **مسند الروياني**، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني (ت 307هـ)، تحقيق أيمن علي أبي يماني، الأولى (1416هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة .

* **المسايرة**، للكمال بن الهمام (ت861 هـ)، مطبعة السعادة، مصر .

* **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ – 1979م).

* **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت606هـ)، إعداد إبراهيم شمس الدين، أحمد شمس الدين، الثالثة (2009م)، دار الكتب العلمية، بيروت .

* **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل**، للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت708هـ) تحقيق سعيد الفلاح، الثالثة (2011م)، دار المغرب الإسلامي، تونس .

* **مواهب الرحمن في تفسير القرآن**، لعبد الكريم محمد المدرس (ت 1426هـ – 2004م)، عني بنشره محمد علي القره داغي، الثانية (1410هـ – 1990م)، دار الحرية للطباعة، بغداد .

* **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، الثالثة (1427هـ – 2006م)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

* **النكت والعيون، تفسير الماوردي**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت450هـ)، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم، الثانية (1428هـ – 2007م)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

* **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت 468هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الأولى (1415هـ – 1995م)، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت.